التفاؤل والتشاؤم

فى الإسلام

المؤلف

محمد بيومى

مكتبة الإيمان

المنصورة

ت 2257882

بسم الله الرحمن الرحيم

حكم التشاؤم فى الإسلام

نهى رسول الله ﷺ عن التشاؤم ، وعدَّه نوعاً من الشرك ، وذلك لأن المتشائم يعتقد فى الشىء الذى يتشاءم منه أنه يجلب عليه ضراً ، فكأنه أشرك هذا الشىء الذى يتشاءم به مع الله عز وجل .

وفى الحديث أن النبى ﷺ قال: ((الطيرة شرك)) . (رواه أحمد وأبو داود والترمذى بسند صحيح)

وقال النبى ﷺ : ((من أرجعته الطيرة من حاجته فقد أشرك)) ، قالوا: ما كفارة ذلك ، قال: ((أن يقول أحدكم اللهم لا طير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك ولا إله إلا غيرك)) .

(رواه أحمد بسند صحيح)

وأخبر النبى ﷺ أن التشاؤم ينافى التوكل على الله عز وجل ، فقال ﷺ : ((يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفاً بغير حساب ولا عذاب ... هم الذين لا يَستَرْقُون ، ولا يكتوون ، ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون)) . (متفق عليه)

والطيرة هى التشاؤم ، وأصل التطير أنهم كانوا فى الجاهلية يعتمدون على الطير ، فإذا خرج أحدهم لأمر فإن رأى الطير طار يمنة تيمن به واستمر ، وإن رآه طار يسرة تشاءم به ورجع .

وقال الشيخ ابن عثيمين - حفظه الله -: التطير هو التشاؤم بمرئى أو مسموع أو معلوم .

بمرئى مثل: لو رأى طيراً فتشاءم لكونه موحشاً.

أو مسموع مثل: من هَمَّ بأمر فسمع أحداً يقول لآخر: يا خسران ، أو يا خائب ، فيتشاءم .

أو معلوم: كالتشاؤم ببعض الأيام أو بعض الشهور أو بعض السنوات ، فهذه لا تُرى ولا تُسمع.

واعلم أن التطير ينافى التوحيد ، ووجه منافاته له من وجهين:

الأول: أن المتطير قطع توكله على الله واعتمد على غير الله .

الثانى: أنه تعلق بأمر لا حقيقة له ، بل هو وَهْمٌ وتخييل ، فأى رابطة بين هذا الأمر وبين ما يحصل له ، وهذا لا شك أنه يخل بالتوحيد ، لأن التوحيد عبادة واستعانة .

قال الله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

[الفاتحة: 4]

وقال تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ .

[هود: 123]

فالطيرة محرمة ، وهى منافية للتوحيد كما سبق ، والمتطير لا يخلو من حالين:

الأول: أن يحجم ويستجيب لهذه الطيرة ويدع العمل ، وهذا من أعظم التطير والتشاؤم .

الثانى: أن يمضى لكن فى قلق وهم وغم يخشى من تأثير هذا المتطير به ، وهذا أهون .

وكلا الأمرين نقص فى التوحيد وضرر على العبيد ، بل انطلق إلى ما تريد بانشراح صدر وتيسير واعتماد على الله عز وجل - ولا تسىء الظن بالله عز وجل . (القول المفيد على كتاب التوحيد 93/2 و 94)

وفى صحيح مسلم عن معاوية بن الحكم السلمى أنه قال لرسول الله ﷺ : ومنا أناس يتطيرون ، فقال ﷺ : ((ذلك شئ يجده أحدكم فى نفسه فلا يصدنكم)) ، فأخبر أن تأذيه وتشاؤمه بالطيرة إنما هو فى نفسه وعقيدته ، لا فى المتطير به ، فوهمه وخوفه وإشراكه هو الذى يطيره ويصده لا ما رآه وسمعه ، فأوضح ﷺ لأمته الأمر ، وبين لهم فساد الطيرة ليعلموا أن الله سبحانه لم يجعل لهم عليها علامة ، ولا فيها دلالة ، ولا نصبها سبباً لما يخافونه ويحذرونه ، ولتطمئن قلوبهم ، وتسكن نفوسهم إلى

وحدانيته تعالى التى أرسل بها رسله ، وأنزل بها كتبه ، وخلق لأجلها السماوات والأرض ، وعمر الدارين الجنة والنار بسبب التوحيد ، فقطع ﷺ علق الشرك من قلوبهم لئلا يبقى فيه علقة منها ، ولا يتلبسوا بعمل من أعمال أهل النار ألبتة .

فمن استمسك بعروة التوحيد الوثقى، واعتصم بحبله المتين ، وتوكل على الله ، قطع هاجس الطيرة من قبل استقرارها ، وبادر خواطرها من قبل استمكانها.

قال عكرمة: كنا جلوساً عند ابن عباس ، فمر طائر يصيح ، فقال رجل من القوم: خير خير ، فقال له ابن عباس: لا خير ولا شر . فبادره بالإنكار عليه لئلا يعتقد تأثيره فى الخير والشر ، وخرج طاوس مع صاحب له فى سفر ، فصاح فى غراب ، فقال الرجل: خير . فقال طاوس: وأى خير عند هذا لا تصحبنى. (فتح المجيد: ص971)

هل التشاؤم شرك أكبر أم أصغر؟

قال الشيخ ابن عثيمين - فى معنى قول النبى ﷺ : ((الطيرة شرك)) ، أى أنها نوع من أنواع الشرك ، وليست الشرك كله ، إلا قال: الطيرة الشرك .

وهل المراد بالشرك هنا الشرك الأكبر المخرج عن الملة ، أو أنها نوع من أنواع الشرك؟

نقول: هى نوع من أنواع الشرك كقوله ﷺ : ((اثنتان فى الناس هما بهم كفر)) .

(رواه مسلم)

أى: ليس الكفر المخرج عن الملة ، وإلا لقال: "هما بهم الكفر" ، بل هما نوع من الكفر ..

فإذا قيل: هل هذا كفر ، فالمراد أنه نوع من الكفر لا يخرج عن الملة ، وإذا قيل: هذا الكفر فهو المخرج عن الملة .

فإذا تطير إنسان بشيء رآه أو سمعه ، فإنه لا يعد مشركاً يخرجه من الملة ، لكنه أشرك من حيث أنه اعتمد على هذا السبب الذى لم يجعله الله سبباً ، وهذا يضعف التوكل على الله ويوهن العزيمة ، وبذلك يعتبر شركاً من هذه الناحية .

والقاعدة: "أن كل إنسان اعتمد على سبب لم يجعله الشرع سبباً فإنه مشرك شركاً أصغر" .

وهذا نوع من الإشراك مع الله ، إما فى التشريع إن كان هذا السبب شرعياً ، وإما فى التقدير إن كان هذا السبب كونياً، لكن لو اعتقد هذا المتشائم المتطير أن هذا فاعل بنفسه دون الله فهو مشرك شركاً أكبر لأنه جعل الله شريكاً فى الخلق والإيجاد . (القول المفيد على كتاب التوحيد ، 112/2 و 113)

****

كفارة من وقع فى التشاؤم

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : ((من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك)) ، قالوا: فما كفارة ذلك ؟ قال: ((أن تقولوا: اللهم لا خير إلا خيرك ، ولا طير إلا طيرك ، ولا إله غيرك)) . (رواه أحمد بسند صحيح)

قال الشيخ ابن عثيمين: قوله: ((لا طير إلا طيرك)) . أى الطيور كلها ملكك ، فهى لا تفعل شيئاً ، وإنما هى مسخرة ، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ . [الملك: 19]

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاء مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ اللّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ . [النحل: 72]

فالمهم أن الطير مسخرة بإذن الله ، فالله تعالى هو الذى يدبرها ويصرفها ويسخرها تذهب يميناً وشمالاً ، ولا علاقة لها بالحوادث .

ويحتمل أن المراد بالطير هنا ما يتشاءم به الإنسان فكل ما يحدث للإنسان من التشاؤم والحوداث المكروهة فإنه من الله كما أن الخير من الله كما قال تعالى: ﴿أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللّهُ﴾ . [الأعراف: 131]

لكن الشر فى فعل الله ليس بواقع ، بل الشر فى المفعول لا فى الفعل ، بل فعله تعالى كله خير ، إما خير لذاته ، وإما لما يترتب عليه من المصالح العظيمة التى تجعله خيراً ، فيكون قوله: ((لا طير إلا طيرك)) مقابلاً لقوله: ((ولا خير إلا خيرك)) .

(القول المفيد على كتاب التوحيد ، 2/117-118)

****

أحاديث ظاهرها يثبت التشاؤم والجواب عنها

الحديث الأول :

روى البخارى ومسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: سمعت النبى ﷺ يقول: ((إنما الشؤم فى ثلاثة: فى الفرس ، والمرأة، والدار)) .

وهذا الحديث قد رواه البخارى ومسلم أيضاً بلفظ: ((إن كان الشؤم فى شىء ففى الفرس والمسكين والمرأة)) .

ورواه أيضاً البخارى ومسلم عن سهل ابن سعد رضى الله عنه بلفظ: ((إن كان الشؤم فى شىء ...)) الحديث .

وقد ذهب جماعة من أهل العلم إلى أن هذا الحديث - (أى رواية ابن عمر الأولى) - يثبت التشاؤم ويحصره فى هذه الأشياء المذكورة فى الحديث .

قال ابن القيم: وقالت طائفة أخرى لم يجزم النبى ﷺ بالشؤم فى هذه الثلاثة بل علقه على الشرط فقال: ((إن يكن الشؤم فى شىء)) ، ولا يلزم من صدق الشرطين صدق كل واحد من مفرديهما ، فقد يصدق التلازم بين المستحيلين ، قالوا: ولعل الوهم وقع من ذلك وهو أن الراوى غلط وقال: ((الشؤم فى ثلاثة)) قالوا: وقد اختلف على ابن عمر والروايتان صحيحتان عنه ، قالوا: وبهذا يزول الإشكال ويتبين وجه الصواب. (مفتاح دار السعادة ، 296-295/2)

وكانت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها تنكر هذا الحديث - [أى رواية ابن عمر الأولى] - ، وتخبر أن الرسول ﷺ كان يحكى عن أهل الجاهلية أنهم يتشاءمون بهذه الأشياء الثلاثة ، فدخل الراوى على النبى ﷺ ولم يسمع أول الحديث وإن سمع آخره فقط فحدث به . فقد روى الإمام أحمد فى مسنده عن أبى حسان الأعرج أن رجلين دخلا على عائشة فقالا: إن أبا هريرة يحدث [1] أن نبى الله ﷺ كان يقول: ((إنما الطيرة فى المرأة ، والدابة ، والدار)) ، قال: فطارت شقة منها فى السماء ، وشقة فى الأرض ، فقالت: والذى أنزل القرآن على أبى القاسم ما هكذا كان يقول ، ولكن نبى الله ﷺ كان يقول: ((كان أهل الجاهلية يقولون: الطيرة فى المرأة ، والدار ، والدابة)) ، ثم قرأت عائشة: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ﴾ ، إلى آخر الآية . (رواه أحمد بسند صحيح)

---

(1) فقد روى الحديث أيضاً أبو هريرة بلفظ حديث ابن عمر .

قلت: ويؤكد كلام أم المؤمنين رضى الله عنها ، ما رواه حكيم بن معاوية رضى الله عنه ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((لا شؤم ، وقد يكون اليمن فى المرأة ، والدار ، والفرس)) . (رواه الترمذى وابن ماجة بسند صحيح)

قال الألبانى معلقاً على هذا الحديث: والحديث صريح فى نفى الشؤم ، فهو شاهد قوى للأحاديث التى جاءت بلفظ: ((إن كان الشؤم فى شئ ...)) ونحوه ، خلافاً للفظ الآخر: ((الشؤم فى ثلاث ....)) فهو بهذا اللفظ شاذ مرجوح . (السلسلة الصحيحة ، 565/4)

وقال الشيخ فى موضوع آخر معلقاً على حديث ابن عمر بروايته الثانية وهى: ((إن كان الشؤم فى شىء ....)) ، قال: والحديث يعطى بمفهومه أن لا شؤم فى شىء ، لأن معناه: لو كان الشؤم ثابتاً فى شىء أصلاً ، وعليه فما فى بعض الروايات بلفظ: ((الشؤم فى ثلاثة)) ، أو: ((إنما الشؤم فى ثلاثة)) ، فهو اختصار وتصرف من بعض الرواة ، والله أعلم . (السابق ، 727/1)

ثم قال حفظه الله: وقد تأيد ذلك بحديث عائشة الذى فيه أن أهل الجاهلية هم الذين كانوا يقولون ذلك ، وقد قال الزركشى فى "الإجابة" (ص128): قال بعض الأئمة: ورواية عائشة فى هذا أشبه بالصواب إن شاء الله تعالى ، "يعنى من حديث أبى هريرة" ، لموافقته نهيه عليه الصلاة والسلام عن الطيرة نهياً عاماً ، وكراهتها ، وترغيبه فى تركها بقوله: ((يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب ، وهم الذين لا يكتوون ، ولا يسترقون ، ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون)) .

قلت: وقد أشار بقوله: (بعض الأئمة) إلى الإمام الطحاوى رحمه الله تعالى: فقد ذهب إلى تجريح حديث عائشة المذكور فى "مشكل الآثار" ونحوه فى "شرح المعانى" ، وبه ختم بحثه فى هذا المضوع، وقال فى حديث سعد وما فى معناه: ففى هذا الحديث ما يدل على غير ما دل عليه ما قبله من الحديث "يعنى حديث ابن عمر..." ، وذلك أن سعداً انتهر سعيداً حين ذكر له الطيرة ، وأخبره عن النبى ﷺ أنه قال: ((لا طيرة)) ، ثم قال: ((إن تكون الطيرة فى شئ ففى المرأة والفرس والدار)) ، فلم يخبر أنها فيهن ، وإنما قال: إن تكن فى شئ تكن فى هؤلاء الثلاث، فليست فى شىء . (السابق ، 597/2)

وقد ذهب بعض أهل العلم إلى حمل الشؤم فى هذه الأشياء الثلاثة على قلة الموافقة وسوء الطباع ، وهو كحديث سعد بن مالك رضى الله عنه ، قال: رسول الله ﷺ : ((سعادة لابن آدم ثلاثة وشقاوة لابن آدم ثلاثة، فمن سعادة ابن آدم المرأة الصالحة والمسكن الصالح ، والمركب الصالح ، ومن شقاوة ابن آدم المسكن الضيق ، والمرأة السوء، والمركب السوء)) . (رواه الحاكم بسند صحيح)

قال ابن عبد البر: وهذا يكون لقوم دون قوم ، وذلك كله بقدر الله . (فتح البارى ، 74/6)

وقال ابن القيم - رحمه الله تعالى -: إخباره ﷺ بالشؤم فى هذه الثلاثة ليس فيه إثبات الطيرة التى نفاها الله سبحانه ، وإنما غايته أن الله سبحانه قد يخلق منها أعياناً مشؤومة على من قارنها وساكنها ، وأعياناً مباركة لا يلحق من قارنها منها شؤم ولا شر ، وهذا كما يعطى سبحانه الوالدين ولداً مشؤوماً يريان الشر على وجهه ،

وكذلك ما يعطاه العبد من ولاية وغيرها ، فكذلك الدار ، والمرأة ، والفرس، والله سبحانه خالق الخير والشر ، والسعود والنحوس ، فيخلق بعض هذه الأعيان سعوداً مباركة ، ويقضى بسعادة من قاربها ، وحصول اليمن والبركة له ، ويخلق بعضها نحوساً ينتحس بها من قاربها ، وكل ذلك بقضائه وقدره ، كما خلق سائر الأسباب وربطها بمسبباتها المتضادة والمختلفة . كما خلق المسك وغيره من الأرواح الطيبة ولذذ بها من قاربها من الناس ، وخلق ضدها وجعلها سبباً لألم من قاربها من الناس ، والفرق بين هذين النوعين مدرك بالحس ، فكذلك فى الديار والنساء والخيل ، فهذا لون ، والطيرة الشركية لون ، انتهى .

(نقلاً عن فتح المجيد ، ص371 و 372)

****

الحديث الثانى :

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال رجل: يا رسول لله: إنا كنا فى دار كثير فيها عددنا وكثير فيها أموالنا فتحولنا على إلى دار أخرى ، فقل فيها عددنا ، وقلت فيها أموالنا ، فقال رسول الله ﷺ : ((ذروها ذميمة)) . (رواه أبو داود بسند حسن)

وهذا الحديث ليس فيه إثبات التشاؤم كما هو المتبادر من ظاهره ، قال صاحب عون المعبود (423/10): قال الخطابى وابن الأثير: إنما أمرهم ﷺ بالتحول بسبب السكنى ، فإذا تحولوا عنها انقطعت مادة ذلك الوهم ، وزال عنهم ما خامرهم من الشبهة . أهـ

وقال السهارنفورى فـى "بذل المجهود" (253/16): هذا ليس من الطيرة ولا العدوى، بل من الطب ، فإن الهواء مختلف فبعضها توافق الطباع ، وبعضها تخالفها ، والأرض الأولى كان هوائها وماؤها ونباتها كانت موافقة لهم ، والدار الثانية التى انتقوا إليها مخالفة لهم ، وأمرهم أن يتركوها إرشاداً إلى المصالح الدنيوية والدينية ، ومعنى قوله "ذميمة" أى اتركوا هذه الدار فإنها مذمومة فعلية بمعنى مفعلولة . أهـ .

الحديث الثالث :

عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ لا يتطير من شيء ، ولكنه إذا أراد أن يأتى أرضاً يسأل عن اسمها فإن كان حسناً رؤى فى وجهه ، وكان إذا بعث رجلاً سأل عن اسمه ، فإن كان حسن الاسم رؤى البشر فى وجهه ، وإن كان قبيحاً رؤى ذلك من وجهه .

(رواه أحمد وأبو داود بسند صحيح)

هذا الحديث ظاهره أن النبى ﷺ كان يتشاءم من الاسم القبيح حتى ترى الكراهة فى وجهه ... ولكن الأمر ليس كذلك .

قال ابن القيم - رحمه الله -: هذا منه ﷺ على سبيل التأديب لأمته ، لئلا يتسموا بالأسماء القبيحة ، وليبادر من أسلم منهم وله اسم قبيح إلى إبداله بغيره من غير إيجاب منه ولا إلزام .

****

بعض الأمور التى يتشاءم منها الناس

قال العلامة حافظ الحكمى - رحمه الله -: وأما الطيرة فهى ترك الإنسان حاجته واعتقاده عدم نجاحها ، تشاؤماً بسماع بعض الكليمات القبيحة كيا هالك أو يا ممحوق ونحوها ، وكذا التشاؤم ببعض الطيور كالبومة وما شاكلها إذا صاحت ، قالوا إنها ناعيةٌ ، أو مخبرة بشر ، وكذا التشاؤم بملاقاة الأعور ، أو الأعرج ، أو المهزول ، أو الشيخ الهرم ، أو العجوز الشمطاء ، وكثير من الناس إذا لقيه وهو ذاهب لحاجة صده ذلك عنها ورجع معتقداً عدم نجاحها ، وكثير من أهل البيع لا يبيع ممن هذه صفته إذا جاءه أول النهار حتى يبيع من غيره تشاؤماً به وكراهة له ، وكثير منهم يعتقد أنه لا ينال فى ذلك اليوم خيراً قط ، وكثير من الناس يتشاءم بما يعرض له نفسه فى حال خروجه كما إذا عثر أو شيك [1] يرى أنه لا يجد خيراً ، ومن ذلك التشاؤم ببعض الأيام أو ببعض الساعات كالحادى والعشرين من الشهر وآخر أربعاء فيه ونحو ذلك ، فلا يسافر فيها كثير من الناس ، ولا يعتقد فيها نكاحاً ، ولا يعمل فيها عملاً مهما ابتداء ، يظن أو يعتقد أن تلك الساعة نحس ، وكذا التشاؤم ببعض الجهات فى بعض الساعات ، فلا يستقبلها فى سفر ، ولا فى أمر حتى تنقضى تلك الساعة أو الساعات . وهى من أكاذيب المنجمين الملاعين ، يزعمون أن هناك فلكاً دواراً يكون كل يوم أو ليلة فى جهة من الجهات فمن استقبل تلك الجهة فى الوقت الذى يكون فيها هذا الفلك لا ينال خيراً ولا يأمن شراً ،

---

(1) أى إذا أصيب بشوكة .

وهم فى ذلك كاذبون مفترون قبحهم الله ولعنهم ، قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل ، ومن ذلك التشاؤم بوقوع بعض الطيور على البيوت يرون أنها معلمة بشر ، وكذا صوت الثعلب عندهم، ومن ذلك الاستقسام بتنفير الطير والظباء ، فإن تيامنت ذهبوا لحاجتهم ، وإن تياسرت تركوها ، وهذا من الاستقسام بالأزلام الذى أمر الله تعالى باجتنابه وأخبر أنه رجس من عمل الشيطان ، وهذا وما شاكله كثير منه كان فى الجاهلية قبل النبوة ، وقد أبطله الإسلام فأعاده الشيطان فى هذا الزمان أكثر مما كان عليه فى الجاهلية بأضعاف مضاعفة ، ووسع دائرة ذلك وساعده عليه شياطين الإنس من الكهنة والمنجمين وأضرابهم وأتباعهم ، أرادهم الله ، وألحقهم به آمين . (معارج القبول ، 2/268-269)

ومن هذه الأمور أيضاً أن كثيراً من البنات يتشائمن من النظر فى المرآة ليلاً حتى لا يفوتهن قطار الزواج .

وكذا اعتقاد بعض الناس أن المقص المفتوح يجلب النكد ، وأن من يأكل سمك ولبن يوم الأربعاء يصاب بالجنون !!

وأن كنس المنزل ليلاً يجلب الخراب لأنه يزعج العفاريت ، وأن دخول المرأة الحائض على النفساء يكبسها ويمنع عنها لبن الرضاعة ، وأن إدخال اللحم غير مطهى أو الذبائح على النفساء قبل أن تتم يومها الأربعين يمنع عنها لبن الرضاعة أو يؤخر حملها للمرة الثانية .

****

الشؤم هو معصية الله تعالى

قال ابن رجب الحنبلى - رضى الله عنه -: الشؤم فى الحقيقة هو معصية الله تعالى ، كما قال ابن مسعود رضى الله عنه: إن كان الشؤم فى شىء ففيما بين اللحيين يعنى اللسان ، وقال: ما من شىء أحوج إلى طول سجن من لسانه .

وقال عدى بن حاتم: أيمن أمر وأشأمه بين لحييه ، يعنى لسانه .

فلا شؤم إلا المعاصى والذنوب ، فإنها تُسخط الله عز وجل ، فإذا سخط الله عز وجل على عبده شقى فى الدنيا والآخرة، كما أنه إذا رضى عن عبده سعد فى الدنيا والآخرة ، قال بعض الصالحين ، وقد شُكى إليه بلاء وقع فى الناس ، فقال: ما أرى ما أنتم فيه إلا بشؤم الذنوب ، وقال أبو حازم: كل ما شغلك عن الله من أهل أو ولدٍ أو مالٍ فهو عليك مشؤمٌ .

وقد قيل: فلا كان ما يُلهى عن الله إنه يضر ويؤذى إنه لمشؤم .

فالشؤم فى الحقيقة هو المعصية ، واليمن هو طاعة الله وتقواه ، كما قيل:

إنَّ رأيا دعـا إلى طاعـة ::: الله لرأى مبارك ميمـونُ

والعدوى التى تُهلك من قاربها هى المعاصى ، فمن قاربها وخالطها وأصر عليها هلك ، وكذلك مخالطة أهل المعاصى ، ومن يحسن المعاصى ويزينها ويدعو إليها من شياطين الإنس ، وهم أضر من شياطين الجن ، قال بعض السلف: شيطان الجن تستعيذ بالله منه فينصرف ، وشيطان الإنس لا يبرح حتى يوقعك فى المعصية ، وفى الحديث: ((يحشر المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل)).

(رواه أبو داود والترمذى بسند صحيح)

وفى حديث آخر: ((لا تصحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقى)) .

(رواه أحمد وأبو داود والترمذى بسند صحيح)

ومما يُروى لعلىَ رضى الله عنه:

فلا تصحب أخا الجهل ::: وإياك وإياه
فكم من جاهل أردى ::: حكيماً حين آخاهُ
يُقاسُ المرءُ بالمرءِ ::: إذا ما المرءَ ما شاهُ
وللشىء على الشىء ::: مقاييسٌ وأشباهُ
وللقلب على القلب ::: دليلٌ حين يلقاهُ

فالعاصى مشؤوم على نفسه وعلى غيره ، فإنه لا يؤمن أن ينزل عليه عذاب فيعم الناس ، خصوصاً من لم ينكر عليه عمله ، فالبعد عن متعين ، فإذا كثير الخبث هلك الناس عموماً .

وكذلك أماكن المعاصى وعقوبتها يتعين البعد عنها ، والهرب منها ، خشية نزول العذاب ، كما قال النبى ﷺ لأصحابه لما مر على ديار ثمود بالحجر: ((لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين خشية أن يصيبكم ما أصابهم)) . (رواه البخارى)

ولما تاب الذى قتل مائة نفس من بنى إسرائيل وسأل العالم: هل له من توبة ؟ قال له: نعم فأمره أن ينتقل من قرية السوء إلى القرية الصالحة ، فأدركه الموت بينهما ، فاختصم فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فأوحى الله إليهم: أن قيسوا بينهما فإلى أيهما كان أقرب فألحقوه بها ، فوجدوه إلى القرية الصالحة أقرب برمية حجر ، فغفر له . (متفق عليه)

هجران أماكن المعصية وإخوانها من جملة الهجرة المأمور بها ، فإن الهاجر من هجر ما نهى الله عنه .

قال إبراهيم بن أدهم: من أراد التوبة فليخرج من المظالم وليدع مخالطة من كان يخالطه ، وإلا لم ينل ما يريد ، احذروا الذنوب فإنها مشؤومة ، عواقبها ذميمة ، وعقوبتها أليمة ، والقلوب المحبة لها سقيمة ، والنفوس المائلة إليها غير مستقيمة، والسلامة منها غنيمة . (لطائف المعارف)

****

حكم التفاؤل فى الإسلام

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : ((.... لا طيرة ، ويعجبنى الفأل)) ، قالوا: وما الفأل ؟ قال: ((الكلمة الطيبة)) . (متفق عليه)

قال الشيخ ابن عثيمين - حفظه الله - قوله ﷺ : ((ويعجبنى الفأل)) أى: يسرنى ، والفأل بينه بقوله: ((الكلمة الطيبة)) .

"الكلمة الطيبة" تعجبه ﷺ لما فيها من إدخال السرور على النفس والانبساط والمضى قُدماً لما يسعى إليه الإنسان ، وليس هذا من الطيرة ، بل هذا مما يشجع الإنسان ، لأنها لا تؤثر عليه ، بل تزيده طمأنينة وإقداماً وإقبالاً . (القول المفيد، 106/2)

ومن ذلك قوله ﷺ يوم صلح الحديبية حين جاء سهيل بن عمرو فقال: ((سهل الله أمركم)) ... ومن شرط الفأل أن لا يعتمد عليه وأن لا يكون مقصوداً ، بل أن يتفق للإنسان ذلك من غير أن يكون له على بال . (معارج القبول 271/2)

قال ابن القيم - رحمه الله -: وليس فى الإعجاب بالفأل ومحبته شىء من الشرك ، بل ذلك إبانة عن مقتضى الطبيعة وموجب الفطرة الإنسانية التى تميل إلى ما يلائمها مما ينفعها كما أخبرهم أنه حُبب إليه من الدنيا النساء والطيب ... وكان يحب الشراب البارد الحلو ، ويحب حسن الصوت بالقرآن والآذان ويستمع إليه ، ويحب معالى الأخلاق ومكارم الشيم ، بالجملة يحب كل كمال وخير وما يفضى إليهما ، والله سبحانه قد جعل فى غرائز الناس الإعجاب بسماع الاسم الحسن ومحبته وميل نفوسهم إليه ،

وكذلك جعل فيها الارتياح والاستبشار والسرور باسم السلام والفلاح والنجاح والتهنئة والبشرى والفوز والظفر والغنم والريح والطيب ونيل الأمنية والفرح والغوث والعز والغنى وأمثالها ، فإذا قرعت هذه الأسماء الأسماع استبشرت بها النفس وانشرح لها الصدر وقوى بها القلب ، وإذا سمعت أضدادها أوجب لها ضد هذه الحال فأحزنها ذلك وأثار لها خوفاً وطيرة وانكماشاً وانقباضاً عما قصدت وعزمت عليه ، فأورث لها ذلك ضرراً فى الدنيا ونقصاً فى الإيمان ومقارفة للشرك ، وهذا الذى جعله الله سبحانه فى طباع الناس وغرائزهم من الإعجاب بالمناظر الأنيقة والرياض المنورة ، والمياه الصافية ، والألوان الحسنة والروائح الطيبة والمطاعم المستلذة ، وذلك أمرٌ لا يمكن دفعه ولا يجد القلب عنه انصرافاً ، فهو ينفع المؤمن ويسر نفسه وينشطها ، ولا يضرها فى إيمانها وتوحيدها .

وقد كانت العرب تقلب الأسماء تفاؤلاً، فيسمون اللديغ سليماً باسم السلام وتطيراً من اسم السقم ، ويسمون العطشان ناهلاً أى سينهل ، والنهل الشرب تفاؤلاً باسم الرى ، ويسمون الفلاة مفازة أى منجاة تفاؤلاً بالفوز والنجاة .

وسئل بعض العلماء عن الفأل فقال أن تسمع وأنت قد أضللت بعيراً أو شيئاً يا واجداً أو أنت خائف يا سالم.

وقال الأصمعى: سألت ابن عون عن الفأل فقال أن يكون مريضاً فيسمع يا سالم .

وأخبرك عن نفسى بقضية من ذلك ، وهى أنى أضللت بعض الأولاد يوم التروية بمكة ، وكان طفلاً فجهدت فى طلبه والنداء عليه فى سائر الركب

إلى وقت يوم الثامن فلم أقدر له على خبر فأيست منه ، فقال لى إنسان عن هذا عجزٌ اركب وادخل الآن إلى مكة فتطلبه فيها ، فركبت فرساً فما هو إلا أن استقبلت جماعة يتحدثون فى سواد الليل فى الطريق وأحدهم يقول ضاع له شىء فلقيه فلا أدرى انقضاء كلمته كان أسرع أم وجدانى الطفل مع بعض أهل مكة فى محملة عرفته بصوته .

(مفتاح دار السعادة 283/2-28 باختصار)

****

من بدع التفاؤل

بعض الناس يأخذون فألهم من المصحف الشريف ، فيفتحونه لكى ينظروا ماذا سيقرؤن فى الآيات التى فتحوا المصحف عليها ، وهذه بدعة فى دين الله عز وجل ، وقد سبق أن من شرط الفأل أن لا يكون مقصوداً ، بل أن يتفق للإنسان ذلك من غير أن يكون له على بال .

قال العلامة حافظ حكمى - رحمه الله -: ومن البدع الذميمة والمحدثات الوخيمة أخذ الفأل من المصحف ، فإنه من اتخاذ آيات الله هزواً ولعباً ولهواً ، ساء ما يعملون ، وما أدرى كيف حال من فتح على قوله: ﴿وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾ ، وأمثال هذه الآيات.

ويروى أن أول من أحدث هذه البدعة بعض المروانية وأن تفاءل يوماً ففتح المصحف فاتفق لاستفتاحه قول الله عز وجل: ﴿وَاسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ الآيات ، فيقال أنه أحرق المصحف غضباً لذلك فقال أبياتاً لا نسود بها الأوراق .

والمقصود أن هذه بدعة قبيحة ، والفأل إذا قصده المتفائل فهو طيرة كالاستقسام بالأزلام . (معارج القبول ، 271/2)

وهذا آخر ما تيسر لى جمعه فى هذا الموضوع .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

****

فهرس المحتويات